مطلب في آداب الحضرة الإلهية

الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب

قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه غامضة من غوامض الأدب
اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه في
الإعراض والإقبال فما زاغ حاله في طرف الإعراض لما أعرض عما سوى الله
تعالى وتوجه إليه ترك وراء ظهره الأرضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات
والدار الآخرة بحظوظها فما التفت إلى ما أعرض عنه ولا لحقه أسف على فائت
وما طغى حاله في طرف الإقبال فإنه يلقى ما ورد عليه في مقام قاب قوسين
بالروح والقلب ثم فر إلى الله تعالى حياءً وهيبة وإجلالاً وانطوى بنفسه في
مطاوي انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى لأن الطغيان
عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه
استغنى والنفس عند المواهب الواردة على القلب والروح تسترق السمع
فمتى ما كانت تستطاب من المنح استغنت وطغت والطغيان أن يظهر منه البسط
تداركته باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن تلك المواهب
فموسى عليه السلام حصل له في الحضرة أحد الطرفين ما زاغ بصره امتلاءً من المنح
واسترقت النفس السمع وتطلعت إلى البسط والحظ فقال أرني أنظر إليك
فمنع ولم يطلق في فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما أفضل الصلاة
والسلام وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية وجه آخر
الطغيان الأول ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة وما طغى لم يسبقها
ويتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام سعيهما واستقام الظاهر مع الباطن

والقلب

والقلب مع القالب والنظر مع القدم وفي تقدم النظر على القدم طغيان والعين
بالنظر على ما بالقدم حال علم فتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف
القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الأحوال وصار قالبه كقالبه
وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وبالعكس وبصره كبصيرته وبالعكس
حيث انتهى علمه انتهى نظره فكان بحاله وقدمه وهذا المعنى انعكس حتى معناه
على ظاهره فأتى بالبراق فتنتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخلف قدم البراق
عن موضع نظره وكان البراق قالبه مشاكلا لمعناه ومنصفا بصفته لقوة
حاله ومعناه فحمل صلى الله عليه وسلم متعززا بقدمه ونظره في مجال الحمائم
والتواضع ناظرا إلى قدمه قادما على نظره ولو خرج من مجال الحياء والتواضع
وتطاول بالنظر متعديا حد القدم تعوق في السموات فتعوق بعض الأنبياء
ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم مستخلصا بماله في خفارة أدب حاله حتى حجب
السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحاب
الحجب حجابا حجابا استقام على صراط ما زاغ البصر وما طغى فمر كالبرق
الخاطف إلى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية في الأدب ونهاية في الأدب
سئل أبو محمد رويم عن أدب المسافر فقال لا يجاوز همه قدمه وحيث وقف
قلبه كان وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الآية رب أرني أنظر إليك قال قال يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا
يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم
ولا تبلى أجسادهم قال الشبلي رضي الله عنه الانبساط بالقول مع الحق ترك